مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد ،

أتقدم للقارئ الكريم بالطبعة الثانية من كتابي (التفوق الياباني وملامح التجربة العربية)، بعد حذف وتضمين لبعض الموضوعات. وتعديل للأخطاء المطبعية التي اكتنفت الطبعة الأولى والتي صدرت منذ عام تقريباً بعد نفاذ معظم النسخ، إن تلك التصويبات التي امتازت بها هذه الطبعة ما كانت لتتم لولا ملاحظات بعض الأخوة القراء الذين تكرموا عليَ بملاحظاتهم واقتراحاتهم وإطرائهم.

ويبقى أمر هام ينبغي تكراره وتأكيده، وهو أن استعراض بعض لمحات التفوق الحضاري لمجتمع اليابان في الكتاب ليس هدفا في حدّ ذاته يتطلب التوسع فيه وتغطية جميع محاوره بالتفصيل، بقدر ما هو أرضية ونموذج يحتذى به لدولة تفوقت في هذا المجال، يربطها بمعظم أقطار العالم العربي الانتماء معاً لقارة واحدة، ومصالح مشتركة بينهما، بل وتشابه في بعض الظروف التي مر بها تاريخياً كل منهما.

فهل يمكن الوقوف على تجارب ذلك المجتمع ورصد بداياته والخروج بدرس عملي يهمش المعوقات التي تحول دون انطلاقة عالمنا العربي للأفق الفسيح؟

أملي أن أوفق في استعراض بعض جوانب هذا الأمر..

ومن الله التوفيق...

مقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد ،

أضع بين يدي القارئ الكريم صورتين مصغرتين عن :

اليابان. تلك الدولة الجزرية ذات الموارد الطبيعية المحدودة والمساحة الضيقة والقوة البشرية المبدعة، والذي أمكن من خلال استغلال جهد تلك القوة تحديد هوية اليابان الدولية المعاصرة.

والعالم العربي : ذلك العالم الذي يحظى بموارد وإمكانات طبيعية وفيرة ومتنوعة. بحكم مساحته الشاسعة، وتعدد وحداته السياسية، وتنوع أقاليمه الطبيعية، وموقعه الاستراتيجي، لكنه لم يتمكن من الوصول إلى مرحلة تفاعل تلك الإمكانات والموارد مع الجهد البشري تفاعلاً منتجاً ومبدعاً.

في فترات سابقة من التاريخ كان للعرب تجربة ناجحة في الريادة والتأثير، إذ أشعت حضارتهم على الدنيا بأكملها. من أقصاها لأقصاها، فأعز الله العرب بالرسالة المحمدية التي آمَنت لها أمم كثيرة فأصبح المسلمون خير الأمم بعد أن كانوا قبل الدين الإسلامي أمة مستضعفة تحيط بها الممالك القوية من معظم الجهات، وتنصاع لأوامرها وتخاف من تهديدها ومجابهتها. ﴿اذكروا إذ أنتم

قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون ﴾[1].

إنه بعث وتأهيل لحضارة ملكت زمام الريادة في البناء الحضاري قرونا من الزمن، بدأت تلك المرحلة بتأصيل المعتقد. والانتماء، ومرت بالانفتاح على ثقافات الأمم السابقة والمعاصرة لها، وانتهت بمحطة النقد والتحقيق والإبداع.

ولكن هي حكمة الله تعالى شأنه وتدبيره..

بدأ الضعف والتراجع في هذه الأمة. لينتهي الأمر بعصرنا الحاضر، عصر هيمنة التقنية على الحياة العامة بكل الابعاد والمقاييس وبمختلف المجالات والتي تحتاج لأدواتها ووسائلها الخاصة.

أُمة تملك من الإمكانات المتعددة ما يؤهلها للمشاركة في بناء النهضة الدولية المعاصرة بصورة فاعلة ومؤثرة. فنجدها في حالة ضمور وخضوع وضعف وتبعية. أخفقت معها كل سبل الوحدة والبناء، وتعاضمت عليها أرصدة المديونية العالمية التي كبّلت إرادتها وأعاقت سبل عزتها وكرامتها وخنقت صوت تحررها، حتى أوشك حال العرب ومكانتهم في المحفل العالمي المعاصر أن يعود بصورة تحاكي

---

(١) سورة الأنفال آية ٢٦.

مكانتهم قبل البعثة. أمام هذا الانكسار ترى هل من عودة لملاك زمام القوة والتأثير. وتبوء للصدارة. بعد رحلة التبعية الطويلة والتراجع المضني؟

هذا ما يحاول الكتاب الحديث عنه من خلال الوصف والمقارنة بين شعبين أو أمتين تمتلك إحداهما مقومات النهضة والبناء والتحديث فتصدم بمعوقات تحول دون انطلاقتها، والأخرى تفتقر لتلك الإمكانات إلا العزيمة والإصرار على التفوق، والوصول في نهاية المطاف إلى أن العزيمة والإصرار يذللان كل عقبة تعترض المسار لأن قانون التحدي والمنافسة باق، فالقوة الحقيقية والاستثمار المربح يظهر من خلال بناء الإنسان والتخطيط الموجه، وما عدا ذلك أُمور مساندةٌ تعجل في المسار فقط.

إننا نملك من وسائل البناء والترابط أجلّها وأعظمها تأثيراً. ألاوهي عقيدة الانتماء لهذه الأمة المختارة، التي يركز عليها الدين الإسلامي الحنيف، يقول الله تعالى: ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾[1]. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وشبك بين أصابعه»[2].

فهل من رجعة صادقة؟

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٩٢.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

وهل من وعي و إدراك لمفهوم الدين الإسلامي الشامل .وعدم الاقتصار على بعض الجوانب دون غيرها؟

إن الأمر الذي يجب التأكيد عليه. أن من أسباب التخلف الذي تعانيه أُمتنا ما يتمثل في القصور الجلي في فقه التدين أو ما يسمى - بفقه الواقع - وفي قائمة ذلك عدم إدراك قيمة العمل والإخلاص من أجله وربطه بمفهوم الدين. والذي يتحقق من خلال إدراك قيمة الإنسان لذاته، وتأثيره في مجتمعه، وحق مجتمعه وأمته عليه كعقيدة راسخة يستثير عطاءها منهج الإيمان ﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا﴾ (١).

هذا بعض من العوامل والأسباب التي ستقف عندها بعض فصول الكتاب. آمل أن أُوفق في عرضها بما يتلاءم وحجم الكتاب، سائلا المولى تعالى العون والتوفيق، ولأمتنا النصر والتأييد، إنه سميع مجيب.

عبد الرحمن بن صالح المشيقح

---

(١) سورة الكهف الآية ٧ .

اليابان

البلد الذي صنع من الهزيمة نصراً، ومن فقر الموارد غنىً، ومن العزلة تواجداً وحضوراً!!

استهلال

الحرب العالمية الثانية التي خمد لهيبها في شهر آب أغسطس من عام ١٩٤٥ تجلت ضمن نتائجها عن مولد قوتين عظيمتين ـ الاتحاد السوفيتي في الشرق، والولايات المتحدة الأمريكية في الغرب.

هاتان القوتان فرضتا سيطرتهما بأسلوب مباشر أو غير مباشر على معظم أقاليم العالم، وسنتا قوانين للسيطرة والتبعية.

واليابان ضمن أطراف الصراع في تلك الحرب الكونية، خرجت منها مهزومة منهوكة القوى، خضعت لجميع الشروط التي أُمليت عليها من قوى التحالف المنتصرة في تلك الحرب، تلك الشروط التي توجب ضمن بنودها حظرا على تسلح اليابان. أو تطويرها للسلاح. أو مشاركة الجيش الياباني في أي عملية خارج أرض اليابان، فاستجابت لتلك الشروط المفروضة عليها.

لقد كان من المفترض ـ بناء على نتائج الحرب والشروط التي تمخضت عنها ـ انتهاء جبروت اليابان وضمور قوتها وذوبان هيبتها بعد تلك الهزيمة الساحقة النكراء. لكنها الإرادة والعزم، إذ لم تستسلم للهزيمة، بل غيرت المسار بالعمل الدءوب، القائم على جهد الأبناء واستغلال الظروف، لتظهر للعالم بقوة جديدة أعظم تأثيراً من القوة العسكرية؛ فقد سلكت في التجربة الجديدة مسار قوة

الاقتصاد[1] وأبدعت في ذلك، إذ فرضت مكانتها مرة أُخرى في فترة وجيزة لا تتجاوز ثلاثة عقود من نهاية الحرب الكونية الثانية. لتعلن للمجتمع بكل ثقة واقتدار أنها لم تذل أو تهزم وإنما عادت للمنافسة والصراع بقوة جديدة، لا طاقة لتلك الدول بإخضاعها أوصدها عن مسارها الذي رسمته.

لقد فرضت اليابان - مؤخراً - على جمهورية روسيا أكبر وأقوى الجمهوريات التي انفصلت عن الاتحاد السوفيتي، والوريث الأكبر لتلك القوة - وجوب المفاوضة بشأن بعض الجزر التي ضمها الاتحاد السوفيتي السابق قبل أكثر من أربعة عقود (جزر هابو ماي، شيكوتان كوناشيري، إيتو روفو) منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وخضعت لطلب اليابان بفعل وتأثير ذلك السلاح الجديد، سلاح الاقتصاد[2].

كما أخذت المصالح اليابانية تتسع وتتشعب في الولايات المتحدة الأمريكية. وهاهي اليابان تمول اليوم عجز الميزانية الأمريكية. من خلال شرائها السندات المالية، فقد أنفق اليابانيون ٤٥ بليون دولاراً ونيفا في شراء العقارات فقط داخل

---

(١) يقول لستر ثرو في كتابه رأسا برأس (إن التنبؤ بأن الحرب الاقتصادية ستحل مكان الحرب العسكرية يعتبرنبأ طيباً. فالمنافسة القوية التي يمكن أن تحفز النمو الاقتصادي. ولا يوجد خطأ أخلاقي في الغزو للمنتجات الألمانية أو اليابانية جيدة الصنع وذات الأسعار التسويقية الرائعة. إن الخضوع للشراء لا يشبه الخضوع للاحتلال العسكري).

(٢) أنظر كتاب (اليابان اليوم) شركة الجمعية الدولية للمعلومات التربوية ١٩٩١، طوكيو اليابان مترجم، ص ٢٥.

الولايات المتحدة الأمريكية)[1] وكأن الأمر انتقام لهزيمتها. وبأسلوب فعّال دون للجوء للتكتيك العسكري.

تلك هي اليابان التي ينسج عن بدايات نهضتها القصص والحكايات، ويحسب لمنافستها كل حساب من جانب الدول العظمى قبل غيرها من بقية دول العالم.

لقد أصبحت اليابان في طليعة الدول التي تتعامل مع موجة التقنية، وتساهم في تطويرها إنتاجاً وتطبيقاً واستثماراً.

فالدراسات اليابانية تكشف أنه (بحلول عام ٢٠٠٠ سوف يعتمد الاقتصاد على المنتجات المعلوماتية. وليس على الصناعات التقليدية)[2].

---

(١) شنتارو إيشهارا (اليابان لم تقل لا) ترجمة هالة العوري، يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة ط١. ويرى بات شوت في كتابه (السادة الجدد) أن اليابانيين يمتلكون في الولايات المتحدة الأمريكية الآتي: (٢٨٥مليار دولار) من الأصول المباشرة والسندات والأوراق التجارية في أمريكا. ويتحكمون فيما يزيد عن (٣٢٩ مليار دولار من الأصول المصرفية للولايات المتحدة - وهي نسبة تكافئ ١٤بالمائة من السوق الأمريكي الإجمالي، ويتحكمون فيما يزيد عن ٢٥بالمائة من الأصول المصرفية في كاليفورنيا و ٣٠ من قروضها البارزة، ويمتلكون المزيد من العقارات والأراضي في الولايات المتحدة بأكثر من ممتلكات المجموعة الأوربية مجتمعة ويشترون بصفة روتينية من ٣٠ ٤٠ بالمائة من الأوراق المالية التي تصدرها وزارة الخزانة الأمريكية، ويتاجرون في حوالي ٢٥ بالمائة من الحجم اليومي للبورصة الأمريكية في نيويورك، وينتجون حوالي ٢٠ بالمائة من أشباه المواصلات المباعة في الولايات المتحدة وأكثر من ٣٠ بالمائة من السيارات، وحوالي نصف المعدات والآلات، وأغلبية الأجهزة الإلكترونية المنزلية وغير المنزلية إلى جانب عشرات السلع والخدمات الأخرى.

(٢) د / علي بن محمد التويجري، فن الممكن في التربية، مجلة رسالة الخليج العربي عدد ٣١، سنة ١٠ - ١٤١٠.

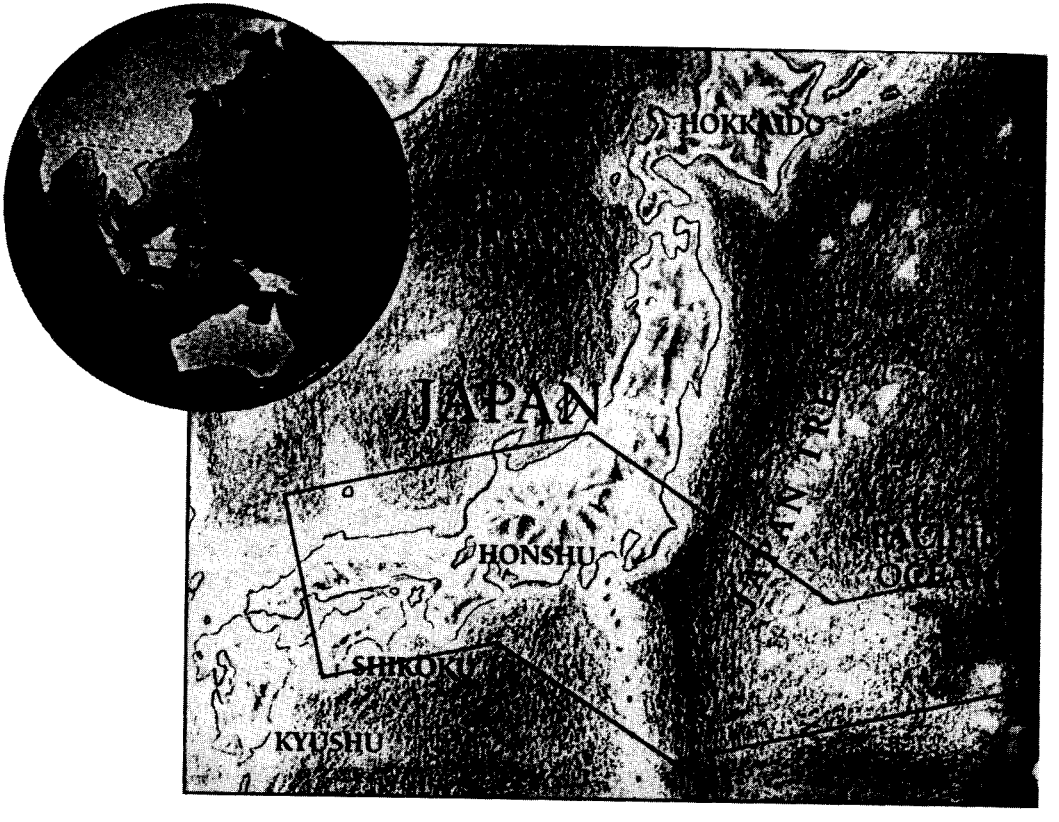

خريطة اليابان